



أشد أنواع المعاناة هي معاناة المرء في البعد عن ربه سبحانه، وأقسى أحوال الحياة، هي الحياة بعيداً عن نور الاستقامة الإيمانية، وأيأس اللحظات هي لحظات الذنب والمعصية، تلكم هي الحكمة الحقة التي يخرج بها كل إنسان بينما يفارق دنياه مقللاً على آخرته.

إنها لحياة بئسها تلك التي تمر على أحدها أيام معصيته، يتمنى الصالحون أن لو محيت عن سجلاتهم ونسيت من ذاكرتهم وذاكرة الأيام!

لأن الكون كله يصير كثيراً بينما المسلم يعصي ربه، و رحابة الأفق تصير مساراً ضيقاً لانهابه له، والشهيق يدخل الصدر من ثقب إبرة! **"ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء"**

تكثر خفقات القلب وتترعد الجوارح، وت تكون في النفس حالة غريبة من الفضام بين الداخل والخارج، فالقلب يرفض الذنب، ولكنه لا يقوى على قيادة الجوارح بعيداً عنه، والنفس ترغب في الجموح ولا تجد من يملك زمامها أو يحجم ميلها.

عندما يحصل ذاك الفضام، و تظهر سلوكيات المعصية برغم كره العبد لها و تمنيه عدم حصولها، ذلك لأن قلبه الضعيف غير مؤهل لقيادة تلك الجوارح الرعناء فـأي خيبة تلك التي تنتظر الفتى بينما تسيره أقدامه نحو ما يعلم ضرره ويتبين أذاه ويتأكد من خطوه؟

إنها لحظات فحسب يقضيها ذلك المفتون في متعة أو شهوة أو انحراف، تتبعها الحقيقة المقدرة، وتتلوها الواقع المؤلمة، فيبدو الأسى، ويختيم الحزن، ويبدأ الانهيار.

أين ذاك العقل النابه بينما المرء منساق في متاهة سبيلها غضب الرب العظيم؟

أفلا يدله على قدر جرمته وفداحة خطيبته بينما يجرئ على عصيان الذي خلقه فسواده ورزقه فكه، وأنعم عليه كل نعمه،

وقاهم شر الأذى، وعلمه الهدى؟!

ياله من عقل خسيس، إذ يدل صاحبه على منافع الدنيا وينسى دلالته على منافع الآخرة، وينبهه إلى إرضاء ذاته والناس، ويغفله عن إرضاء ربه والعالمين..

أفلا يستشعركم من الراحة تجدها جوارحه وهو في فيض الإيمان الرحيب؟ وكم من السكينة تطمئن إليها نفسه وهو في سبيل الطاعة وخطى العبودية؟ وكم من التوفيق يحيط حركاته وسكناته وأفكاره وخطواته بينما هو يقترب من إرضاء ربه الأعلى؟

إن الإنابة تنادي أصحاب القلوب النازفة، والنفوس الجريحة من آثار الذنب، تناديهم لحياة مطمئنة رحيبة، وتوبة تمحو الذكرى المؤلمة، وطاعة تذهب السيئات السابقة، وندم يحرق آثار الغفلة ويسد متاهة الانحراف.

قال سبحانه: " وأنبوا إلى ربكم وأسلموا له وأنبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بعثة وأنتم لا تشعرون "

فأقبل إليها القلب الكسير على ربك، وارجع إلى رحاب الرحمة، واستجب لنداء الإيمان..

ويالها من فرحة تلك التي تنتظرك عندئذ وبالها من سعادة تلك التي ستضمنك إليها وتحتويك، وبالها من حماية تلك التي ستحيطك من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وشمالك ومن فوقك، تمنعك من الشيطان، وتنير بصيرتك نحو خيرك في الدارين.

المسلم

المصادر: